السلم العالمي

وضرورة الرجوع والانقياد إلى عالمية المشروع الإسلامي

أ. محمد الأمين هادي

جامعة أدرار

قراءة في مفهوم السلم العالمي وعلاقته بالمنظومة المصطلحاتية العالمية غير المستقرة La paix – The peace

لا مراء أن الإنسان خليفة الله في أرضه، أنعم عليه بالحياة وأسبابها الشتى، وسخر له الكون برُمته لخدمته، وبعث إليه مواكب النبوات والرسالات تترى، عساه يَسعد ويُسعد، علما أن الخالق جبل ابن آدم على بينة من الفطرة الصافية البيضاء، فلقد أوجده من علق، ثم كرمه بالعقل فعلمه ما لم يكن يعلم كي يوحده ولا يشرك به، فتستقيم وظيفته في الوجود فلا يضل ولا يشقى.

من أجل ذلك كُتب على الإنسان أن يُفاعل أخاه الإنسان ويشاطره المنن؛ بالخير والبر والتعاون والمودة والصلاح، ويؤازره في البلايا والمحن؛ فيدفع عنه الشر ولا يجلب إليه العداوة والبغضاء ولا يرمي به هاوية الخسران والهلاك، وكم ذاق هذا المخلوق ثمرات المنن وكم تصدى لصدمات المحن طوال القرون والآماد والسنين، لكنه بات جهولا عنيدا هلوعا جزوعا منوعا، يفتعل المعاركة ويستبق إليها منفردا بالاعتداء والطغيان والتجبر حينا، وبركوب الغارات وصولات الحروب الدامية حينا آخر، وفي أحيان أخرى بالانضمام وقدح فتيل التكتلات والأحلاف والجيوش العاتية الجائرة المتغطرسة بدعوى الدفاع والأمن والإصلاح، فلا يأخذه إلٌ ولا ذمةٌ في إهلاك الملايين من الأرواح البريئة والحشود المغلوبة، وهو في ذلك كله يمتطي أرقى منجزات التقنيات الحديثة والتكنولوجيا العالية، أي بتسخير العلم وآخر ما وصل إليه في صناعة الموت وصنع الدمار واستحلال الدماء، وخرق كل المواثيق السماوية والأرضية.

فما لهذا المخلوق لا يرتدع ولا عن غيه ينتهي، وقد لطف به الخالق تعالى لطفا بديعا، أم أنه قد تجاهل الأثر الخطير الذي ينجم عن الزيغ والبعد عن منهج الله العليم بالكون والإنسان،

فراح يقنن شرائع وقوانين ومواثيق وحدودا كأنها توازي شرائع السماء ـ معاذ الله ـ فلا هو بوحي الإله أخذ وانتهى، ولا هو بما خطته يداه وابتدعه عقله تشبث واقتنع، فتزلزلت القيم وانقلبت الحقائق، وعاشت الدول والأمم والجماعات والشعوب شذر مذر، لا يقر لها قرار ولا تسلم لها عمارة أرض ولا تطمئن لها حال.

ولا يخفى على العالمين أن دين الله المحكم وعقيدة التوحيد الأقوم هي الرسالة الخاتمة التي أبانت لكل الأجناس والفهوم والأعراف والنحل أنه الدين الأمثل والمقبول الذي لا فوز ولا نجاة من ابتغاء غيره، وبشرت به الأنبياء، أولئك الصفوة الهداة الذين غرسوا رسالة السماء في أرض الشرق، فبددوا الظلام وأشعلوا النور فأناروا البلاد وأسعدوا العباد، وبينوا كل كبيرة وصغيرة، فظل هذا الشرق قبلة كل خير وفلاح ونماء، إلا أن محاداة العتاة شابت صفو الحياة، فصار شرق العالم وجنوبه محور الشر والحيف كما أرادوا أن ينعتوه، وتسربل الغرب المجرم بسربال الحكمة المصطنعة والسيادة المدسوسة والرعاية المسمومة لتأثر بجبروته الخلائق والأمم، كيف لا وقد أتقنت الصهيونية بخبثها والصليبية بحقدها تمزيق دول الشرق والجنوب وافتراس برائها الفطرية وسلامة تركيبتها التاريخية والجغرافية والانتروبولوجية، ووفرة عطاءاتها وثرواتها الثرية بمخزون لا يُعدُ ولا يُحصى من الموارد الطبيعية والبشرية ...

وما انفك العالم على هذه الشاكلة والمفاصلة والمفارقة لا يحيد، وكل قطب يصر على نهجه الذي يريد؛ فالشمال لا يريد إلا السطو والاستكبار والاستعلاء، وبسط نفوذه وقوته ولو بإخفاء الآخر وإفناءه على آخره، والجنوب لا يسعه ـ رغم ضعفه ـ إلا أن يناصر الحق ولا يرتد عن قناعاته، وأن يصابر صامدا في وجه الضربات التي تحاول محوه وقلعه من الجذور.

من ههنا سأحاول الإسهام في تأكيد رؤية مقترحة لا كفؤ لها، وفي ترسيخ حقيقة إلهية مؤثلة في الأزل والسرمد والأمد لا مناص للعقلاء عنها؛ ألا وهي الإنابة إلى السلام جل وعلا، فهو الذي لا إله إلاّ هو رب العالمين، اصطفى لعباده توحيدَه، وبين رشده، وهيأ هذا المخلوق لحمل الأمانة التي يطيقها ويملك القدرة على أن يحسنها، فلم الصدُ بعد الهدى والمنع بعد العطا، ولا فضل لي في ما وجب اقتراحه من وحي السماء لإصلاح الحياة وصلاح البشر كاستتباب السلم والأمن في المعمورة، وتلك

واحدة من مثيلاتها وبعضٌ من كل؛ إذ الإسلام دينٌ سلَمَ بالشمولية والعالمية والمطلقية وسلِم من النقص والمراجعة والتناقض والمزايدات...

ولا بأس أن نباحث الأدوات ونتكشف أسرار هذه الإشكالية العالقة عسانا نفتق بعض مكنوناتها من منطلق إنسانيتنا ورسالتنا، وأن نحاول استقراب قناعاتنا وقناعات الآخرين والجمع بينها وتوحيدها على ما يربأ بنا جميعا عن مزالق الضياع والهلاك، وفيما به نجاة البشرية من مهاوي الجحيم الداهم، علما مني أن أول سرٍ مكشوف ومعلوم هو التسريع في تقوية التربية الفردية وبناء الإنسان الصالح، وهذا من شأنه أن يخفف من وطأة الكارثة المحدقة، ومحاولة تقريب الشقة بين الشمال والجنوب أو بين الشرق والغرب من زاوية التثاقف والمثاقفة الإنسانية المتفق عليها، وكم هي بينة نقاط التقاطع التي تجمع شتات الفكر البشري هنا وهناك، وهي كفيلة بأن تفتح كل الأبواب في سبيل تآلف عالمي يلم ويجمع.

ومن الشائع عن المنظومة المصطلحاتية العالمية أنها تتسم بعدم الاستقرار والتميع والفجاجة والزئبقية والتناقض في فهمها وفي التعامل معها، ذلك لأن روحها خلوٌ من خصائص الشمولية والكمال والدقة المتناهية والحقائق الجامعة المانعة، موسومٌ بالضعف والاختلال، ومن أسباب هذا الهمل والضياع ما يأتي:

1 ـــ تشرذم جموع البشرية حول سبل الوصول إلى الفهوم الموحدة والواضحة التي سلمت من الزلل والتي نص عليها الأنبياء عليهم السلام، ونحوُ الإنسان منحى مخادعة النفس ومراوغة الضمير وجهل المصير، والإيقاع بنفسه عن علم أو جهل في قاع الويلات والهزائم المتكررات عبر الأزمان وفي كل مكان.

2 ـــ تقنين المصطلحات والمبادئ التي تتوقف عليها سلامة البشرية أو تضعضعها، بإخضاعها إلى سلطان العقل البشري البحت مع تحكيم القوة والقهر وتغليب التعالي والتسلط، وإبعاد الجانب النفسي والوجداني وتغييب الألفة الإنسانية والتآلف الاجتماعي.

3 ـــ وقوع معظم المفاهيم التي تُسير نظم البشر وطرائق حياتهم في قبضة التنظير والإشهارو التوثيق،والتظاهر بلمعانها ورفع الأصوات بها دون تجسيدها على أرض الواقع،مثل:

الحرية/العدل/الديمقراطية/الإنسانية/المساواة/السلام/الحقوق/حماية الأقليات...وإن حاول البعض إقامة تلك الفهوم أو تكريسها فإنه سيعتمد التبعيض أو الإفراط أو التفريط، أو قلبها تماما أو اجتزاءً فاعليتها في جنس دون آخر أو مكان دون آخر أو زمان دون آخر أو طبقة دون أخرى أو انتماء دون آخر

4 ـــ أعداء البشرية ملة واحدة وإن تمشكلوا في صور مختلفات، لأنهم تحايلوا على ضعفاء العالم واستحوذوا على نقاط القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فاستدرجوا الأمم شعوبا وحكومات، وكلما حاول بعض هذه الشعوب أو الدول رفع هامته الحضارية والوطنية عاليا أو كسر هاتيك القيود المكبل بها أو حاول حفظ تاريخه ومقدساته وخصوصياته المادية والروحية سامَهُ جبابرة العتو والغطرسة بألوان من العقاب والعقوبات، الذكية منها والغبية، الخفية منها والعلنية، وقد بلغ بهذه الجبروت ـــ خاصة الأوربية والأمريكية ـــ من الطغيان والتبجح ما جعلها تنهبُ ثروات أولئك المستضعفين لتُحولها إليهم ـــ تحت عناوين ـــ شتى من المساعدات الإنسانية والهبات والقروض ـــ معلباتٍ من الجحيم والإهلاك والهلاك، ولكن المصيبة العالقة اليوم هي خنوع هذه الأقليات المستكينة والدول المخذولة أمام الغرب المتسلط، بسبب تفككها وتخذلقها في التظاهر بالسيادة العمياء والقيادة العرجاء. وبالجنوح والتبجح بالاتحاد والتكامل المجتزئين بالقول من غير الفعل، الموصولين بمرجعيات وهمية ليست من الصدق والجرأة والكرامة والديمومة في شيء.

وفي هذا المضمار قيل: "فالتشريعات الإنسانية الصادرة عن المجامع الديمقراطية ليست ثابتة، ولا تحمل في نصوصها صفة الإباحة المطلقة، أو المنع المطلق، وخصوصا فيما يتعلق بالحقوق والواجبات الفردية، والمسؤولية الشخصية، وما ذلك إلا لأنها مبنية على المصلحة والحاجة المتطورة، ومن المعلوم أن المصلحة والحاجة، تتبدلان وتتحولان حسب الظروف والأحوال، ومن غير المستغرب في تاريخ التشريعات الإنسانية، أن يناقض آخرُها أولَها في بعض تفاصيلها، وأن ينقلب المكروه إلى مستحب، والمحظور إلى مباح، والمستهجن إلى عادي"[1]، هكذا يشهد شاهد من أهلها وهكذا تقول المستشرقة البولونية "بوجينا غبانة ستشيجفسكا" في كتابها: تاريخ

---

[1] ـ د. محمود الخالدي، الديمقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية، مكتبة الرسالة الحديثة، شركة الشهاب الجزائر، ط: 1988، ص: 45.

الدول الإسلامية وتشريعها: أن ديمقراطية الغرب لا تسلم من العور الذي ما فتئ يشوب صفوها البراق بسبب تبعيتها الحتمية للمتغيرات التي لا يملك البشر إتقان صنعها والتعامل معها، ذلك المخلوق الحقيقي، وأن الملك كله لله وحده فهو الملك المالك الحكم الحاكم الحكيم العليم الخبير، ولهذا تعلل هذه المستشرقة بحجةٍ لا مفر للغرب منها وهي ادعاؤه بتملصه من القرار بذريعة تغيير واصطناع الظروف، خلاف ما قال نابليون: "إن أفضل الدساتير ما كان من صنع الزمن"[1] فقد أصاب ليُخطئ، أصاب حيناً ليخطئ دهرا، إذ الزمن حقيقة "هو العامل الحاسم الذي ينظر الإنسان من خلال أحداثه إلى الأشياء، فتتغير نظرته إليها تبعا لذلك"[2]، ومنه فكفى الآدميين رهقا ونصبا في البحث عن ديمقراطية تنماع حينا بعد حين، ديمقراطية مفتوحة على النقض والتناقض والعجز، وليعمدوا إلى صنعٍ أتقنه الله فكان صنعا كاملا مكتملا، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3]، صنعٌ متقن ومؤثلٌ بنظامٍ إلهي معصوم من التلاهي والعبث فهو يحتوي نظاما فرعيا أكمل صورة وأشرق نضارة عبر التاريخ الإنساني، إنها "الشورى" الموصولة بشريعة الحي القيوم التي لا تزيغ ولا يزيغ عنها إلا هالك، فليس كل شورى هي بشورى شرعية ناجحة، وليس كل ديمقراطية عبثا، لأن مدار الأمر وفحواه هو في مدى ثبات الإنسان على ما يصلح له ولأخيه وللعالم من حوله؛ فما دام ملتزما وملزما نفسه بذلك فهو في دائرة الفطرة الإلهية السليمة التي صبغ بها الله ـــ جلت حكمته ـــ خلقَه.

ومصداق هذا أن الغرب نفسه قد ركن قرونا وأحقابا إلى ظلمات الجهالة والأساطير وخرافات الكنيسة والوثنية وخزعبلاتها، فتبددت الملايين من أتباعه وأنصاره لما ضاقت بهم النظم المرعبة الطاغية، كالامبراطوريات والممالك التي اتخذت من العنصرية والطبقية أدوات لها

2- المرجع نفسه، ص: 46.

3- المرجع نفسه، ص: 46.

4- من الآية 88 سورة النمل.

...، فقهرت شعوبها وقيدت حرياتها فانقلبت عليها، وما زالت على تلك الحال؛ تهمد وتهدأ أحيانا لتنتفض وتثور أحيانا أخرى.

وليس بدعا أن تصير تلك التداعيات والإفرازات الكوارثية على هذه الشاكلة المأساوية والصورة السوداوية، فقد تزلزلت الأركان والمواثيق التي تنظم الأفراد والجماعات والدول، فعطلت الأمم المتحدة فاعلية ميثاقها وخنقت أنفاس ممثليها: "ولما كان الزمن لا يتوقف فإن الصدام وقع بين متغيرات المجتمع الدولي وجمود الميثاق في بعض مواده، فالمادة الثانية من الميثاق تنص في فقرتها الأولى على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها ولكن مواد الميثاق بعد ذلك تناقضت مع هذه المادة وهو ما جعل المنظمة تفتقد أهم عناصرها وهو الديمقراطية"[1]، لأنها عتت واصطنعت التفاضل والتمايز في هيئتها، فأفردت الأعضاء الخمسة في مجلس الأمن بالسلطة المطلقة وصنع القرار، وعمدت إلى الأعضاء الآخرين مهمة ملء الكراسي والفراغات، أو ربما كان هذا لإيقاع الانفصام بين هؤلاء الأعضاء لينقسموا كتلا وتحالفات متفرقات غير فاعلة، أو لأن تكون دولهم غير الراشدة ـــ في نظر حق الفيتو ـــ فئرانا وجرذانا للتجربة والتجريب والعبث، " وقد أظهرت المسيرة أن الأمم المتحدة اصطدمت بمتغيرات جوهرية دون قدرة على مواجهتها وأبرز هذه المتغيرات: يوم مولد المنظمة كان في شهر يونيو في حين إن القنبلة الذرية ألقيت على هيروشيما في شهر أغسطس/ تزايد عدد الأعضاء من 51 دولة إلى 185 دولة/ تقول مقدمة الميثاق: "نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال القادمة من ويلات الحروب التي من خلال جيل واحد جلبت على الإنسان مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف"، ونجد ـــ مع الأسف ـــ أن الحروب لم تتوقف إلا إذا كان المقصود هو منع الحرب في أوربا ... فالأمم المتحدة في ثالث أعوامها قامت بإعطاء فلسطين لليهود وقيل يومها: "إن من لا يملك أعطى لمن لا يستحق ... "بل إن أبرز ما أنجزته المنظمة

5-د.سامي منصور، نظرة نقدية لمسيرة الأمم المتحدة، مجلة العربي، الكويت، ع: 451، يونيو، 1996 م، ص: 40.

وهو إعلان حقوق الإنسان تحول إلى أداة لتغيير أو معاقبة الأنظمة التي تختلف مع الحكومة الإمريكية ... أكثر من هذا فإن المادة 109 تنص على أنه لعقد مؤتمر دولي لتعديل الميثاق فلا بد من موافقة ثلثي أعضاء الأمم المتحدة على عقد المؤتمر وأن تكون الدول الخمس الدائمة ضمن هذه الدول الموافقة، وهكذا يبدو الأمر مستحيلا"[1].

ومن هنا نستخلص أن ميثاق المنظمة في حد ذاته يطوي في ثناياه أسباب حله واندثاره وعلامات فشله وانتحاره، ودليل هذا أن الواضع الأممي في هذه الهيئة لا يحسن سوى أن يرعى مهام الدول الخمس ومصالحها رعاية جديرة بكل أولوية ومطلقية واهتمام، كما أنها منظمة (لا منظمة) لأنها تجتزئ "بالفيتو" فقط، إذ يحق للفيتو أن ينفذ قرارا يمحو ملايين البشر من على الأرض ويسحقها، أضف إلى ذلك أن منظمة الأمم المتحدة بلغت من السطو المدعم والغلبة الظاهرة أن تكفلت بشواذ الآفاق، فمنحتهم أرض المقدس غصبا، فأيُ فيتو هذا الذي من شأنه خدمة دولة بعينها والانقياد لها وإعانتها على إرغام أكبر عدد من الدول بالانصياع والإذعان تحت مظلتها بطريقة أو بأخرى، أم كيف يقر للأمن والسلام قرار وقد آلت الأمم المتحدة على نفسها أن تفعل الأفاعيل للحيلولة دون نقد الميثاق، أو مجرد إعادة نظر أو عقد مؤتمر لتعديله، كيف لا وهي الخصم والحكم؟

الشرائع السماوية وشمولية المنهج الإسلامي وتأصيله المعجز لمفهوم السلم

لقد خضعت الشرائع السماوية كلها إلى ناموس الترداد القائم على ترسيخ عقيدة التوحيد، فتتالت النبوات تباعا تبشر بوحدانية الله تعالى، فتعددت الرسل والأنبياء عليهم السلام بتعدد الأزمان وطبائع الأقوام فتنوعت الأحكام والشعائر بسبب تنوع مناهل تلك الأمم ومشاربها، إلا أن عقيدة التوحيد ظلت ثابتة وراسخة، متمثلة في إقرار الربوبية والألوهية والعبودية لله تعالى، وقد تعددت معجزات الأنبياء في ظل تعدد الأجناس والشعوب ومدى تخصصها في

1- المرجع السابق، ص: 41.

أضرب الثقافات والأعراف والفكر وفي مختلف الصناعات والمهارات العملية ... ومنه فقد أثل الأنبياء والرسل قواعد السلم بدءا من سلم الفرد مع نفسه ثم مع أخيه ثم مع المولى عز وجل، فاختار الله تعالى لعباده أن اعبدون، ليسلموا من وهم الشرك ومهلكته، وأن تعارفوا بالمعروفية ولا تنابذوا فتذهب ريحكم وتشيع فيكم ألوان العذاب جوعا وخوفا وتمزقا واضمحلالا ...

ولأن الله تعالى خبير بخلقه فقد بدأ بالعدل والكمال، إذ خلق الإنسان فأحسن خلقه وبالعقل كرمه وميزه، ثم نهاه وأمره، فهو الحر المقيد؛ حرٌ بطواعيته في أن يسلم وجهه لله تعالى وذاك خيرٌ له دنيا ودينا، أو في أن يحيد عن السلم إلى الله تعالى فيخسر خسرانا مبينا، وهو المقيد في حقائق وغيبيات لا يملك النفور عنها أو تغييرها أو التحكم فيها والإحاطة بها كالحياة والموت والإضرار والنفع ... قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[2]. ذلك الدين القيم الذي وصله رسل الله ومصطفوه إلى العباد، وتحملوا في سبيل تبليغه كل أنواع الأذى والإيذاء، ولقد بلغ هذا الأذى ذروة العدوان والطيش والاستكبار مبلغا جعل الوضاعين التوراتيين والإنجيليين وغيرهم يتحاملون على الرسالات والصحف والألواح فحاولوا عبثا وغباوة وحقدا تحريفها وتزييفها بإيلاج الدخَل والأراجيف على أصولها الراسخة العميقة.

وبناء على هذه الأفاعيل المشينة والدسائس اللعينة فإن المتحدث عن السلم في الشرائع السماوية يجد نفسه أمام منفذين خطابيين؛ منفذ الخطاب الكتابي المفتوح المفضوح، ونعني به ذلك الخطاب الذي دُنس برجاسة الوضع والتحريف والافتراء على الله، فهو مفتوح على الوضع المفضوح والمكشوف، أما المنفذ الخطابي الآخر فهو الخطاب الفرقاني المغلق المحفوظ؛ المغلق لأنه كتاب المعجزة الأحمدية الذي تكفل الحافظ الحفيظ ـــ جل شأنه ـــ بصونه فلا يطير الدخَل والدجَل في جنباته أبدا. ومعلوم أن الرسالات الشرائعية نادت بالتوحيد وبالسلم والأمان والتسليم، وأن كل رسول قد

2- الآية: 83، سورة آل عمران.

تلا دعوته الصافية على قومه فأقبل عليه من أقبل وصد عنه من صد، لكننا لا نأمن ـــ والحال هاته ـــ تلك الخطابات المبدلة والمبتذلة، مستغنون عنها بالمعجزة القرآنية التي أبانت فاعلية البلاغ المبين في قصص الأولين والآخرين، ولأننا موقنون بدعوات أولئك الأنبياء والرسل أقوامهم إلى السلم عبر نداءات التوحيد وفي ترداد يتجدد كل فترة وجيل، والناس في دورة حياتية مستطيلة يسعدون ويشقون يصلحون ويفسدون، يتسالمون ويتصاولون، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1]، وقد ضل الإنسان أول ما ضل حينما قتل قابيل هابيل ليبدأ الفتنة والمفاتنة ويخالف سنة المسالمة، فحضت الرسالات على تأكيد السلم والعمل به ليحل محل الإقصاء والتمرد على سنن الكون، وبهذا أسست النبوات مدارس الحوار والجدل بالحسنى والدعوة بالبر والمعروف.

ينطلق نوح عليه السلام داعيا قومه إلى النجاة، متلطفا بهم، صابرا على سخريتهم، دعاهم إلى حيث سعادتهم ومنجاتهم لكنهم رفضوا وأصروا واستكبروا استكبارا، فكان الله أشد محالا وأسرع انتقاما إذ نسف بهم الأرض وملأ عليهم الأرض والسماء طوفانا، لأنهم عطلوا الحوار السلمي الإيجابي وشلوا السلم الذي ارتضاه لهم المولى عز وجل، ثم نجا نوح عليه السلام ومن معه لأنهم آثروا السلم الحقيقي: ﴿قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وحدا الحادون الهادون البشرية إلى سواء السبيل والسلم المستقيم، ففاز الطائعون بالنجاة والسلامة من لدن السلام جل وعلا، واستعجل الجاحدون المعاندون الكفرة العذاب، فحق عليهم العذاب وسامهم القهار الجبار ذو الطول شديد العقاب ألوانا من العذاب، فحاصباً وصيحةً وخسفاً ورجفةً وغرقاً وريحاً صرصراً ورجزاً لما عتوا في الأرض واستهتروا واستغشوا ثيابهم وامتهنوا الأنبياء وقتلوا بعضهم ... على أننا نجد أدبية السرد في الإنجيل تترع بالشخصيات الأساسية عموما إلى أن تصدر عن وجدان قتالي

1- من الآية 34 من سورة إبراهيم.

2 ـــ الآية 48 سورة هود.

انتقامي، فبنوة يعقوب لبنيه مثلا قائمة على وازع حربي تدميري سافر، إذ الصور والمجازات تشف في جملتها عن حس توجسي، وعن تأهب غريزي للمصادمة ...إن هذه الخصوصية الحربية التي ميزت الإله يهوه، نجدها تتعمق في تلك العلاقة الافتدائية الصريحة التي تضفيها أدعية موسى وأوراده، على ربه يهوه: "الرب قوتي، ونشيدي وقد صار خلاصي، الرب رجل الحرب، يُسمعُ الشعوب فيرتعدون"[1]، هكذا يقع الكتاب المقدس المزيف في دائرة الفشل فيفضح تناقضه، إذ حاول الوضاعون إلصاق صفات العنف والرهب بالأنبياء حتى دفعتهم حماقتهم وخساستهم إلى وصف ربهم يهوه برجل الحرب، وحاول وضاعوا الإصحاحات أن يكاشفوا تناقض من سبقهم من وضاعين "... في صيغة ثورية، صريحة، تعلن عن نقضها لشريعة سلفه موسى، يحرم المسيح فعل القتل، إذ يقول: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجبا الحكم، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجبا الحكم ... فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا"[2]، هكذا نرى خاصية اللا استقرار التي لازمت هؤلاء الوضاعين في الكتب المقدسة الموسوية المسيحية المزيفة، فبنو إسرائيل وغيرهم ممن حادوا الأنبياء والرسل لم ينقادوا إلى الحق والأمن بل تجاسروا على ذلك فبدلوا، بينما نجد القرآن الكريم يحثنا على أنه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[3] ولا مخادعة ولا محاباة، فحتى وإن حاول هؤلاء الوضاعون تبيان وإبراز حصافة المسيحية العيسوية ودعوتها إلى المحبة والمعايشة، فما ذاك إلا مجرد تمويه ومحاولة لإبراز أسبقية اليهود إلى هذه الدعوة، لأنه لا يخفى علينا مخالفة اليهود لدعوات أنبيائهم السلمية.

وأما بناء شرعة السلم في المنهج الإسلامي فكان بناءاً معجزا محفوظا مشهودا على الأرض قرونا من الأنوار والإشراقات التي أشاعت السلم والسلام في أقطار الأرض كلها، فجاء محمد عبد السلام

3- د.سليمان عشراتي، الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية، قراءة في ابستمولوجية الأرض والميثاق، ص: 73.

1- المرجع نفسه، ص: 77.

2- من الآية 64، سورة يونس.

عليه الصلاة والسلام وقد حُمدَ في الأرض والسماء، وأثل السلم بأمانته وصدقه قبل نزول الوحي وسط مجتمعه العربي أيام الجاهلية الأولى، كيف لا وقد نُزعت من قلبه عليه الصلاة والسلام علائقُ الشيطان وحظوظه من الإنسان في حادثة شق الصدر، وهي علامة على السلم السليقي الذي أحاط بالنبي محمد قبل البعثة، كما أن في رعيه للغنم عليه الصلاة والسلام ومن سبقه في ذلك من الأنبياء عليهم السلام علاماتٌ وإشاراتٌ لسلمهم وسلامهم حتى مع البهائم ومن هم دونهم خلقا، وما كان محمد ﷺ شريكا للظالمين والوثنيين والفسقة في ظلمهم ووثنيتهم وفجورهم، فالرعي والتحنث في غار حراء ومبادراته المتتاليات في الصلح والإصلاح بين الناس كحادثة رفع الحجر في تجديد بناء الكعبة هي من مدارس السلم الجبلية التي أهلت محمداً للنبوة وسياسة الأمم والعالمين كافة ...

والعرب في جاهليتهم جمعوا إلى لفظ الحرب والدم والغارة لفظ السلم والأمن والمؤامنة؛ إذ المعجم العربي ثري بمادة سَلِمَ فها هو زهير يقول في معلقته مخاطبا هرما وحارثا مادحا سعيهما في المحبة والسلام:

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما إن تدرك السلم أوسعا ... بمال ومعروف من القول نسلم[3]

حتى إذا جاء البيان المبين فوسع دلالات مادة سَلِمَ، لأن المعجم العربي المعجز هو أكملُ وأكدُ في السعة والعمق والتناهي في الدقة والبيان، وهو تأسيس للسلم والسلام والسلامة والمسالمة ... معجزٌ لا يرتقي أي معجم مهما برع إلى درجات تجاوزه بما هو أوسع وأدق في الكمال، ويمكن تبيان هذا الفضل في الأدلة التالية التي نحسبها تأثالا لمفهوم السلم العالمي المعجز:

1 ـ ورود معاني مادة "سلم" في أكثر من سبعين آية كريمة.

3- د. زكريا صيام، الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 1984، ص: 312.

مانعاً كليةً واحدةً دون تفصيص في تبنيه، ولا مجال لأن يُجتزأ منه، فما يُبتغى عضين، لأنه مشدود العروة بالدين المتين الذي ختمه المصطفى ﷺ ختما كاملا دون إغفال أو نقصان.

4 ـــ من أسمائه تعالى: السلام، فكفى ابن آدم شرفا وعزة وولاء وطمأنينة ومنعة وبرهانا أنه عبد السلام، بل لِمَ الجحود والنكران بعد الإيمان والاستيقان، ولِمَ الظلم والعدوان بعد الهداية والإحسان ؟؟؟

5 ـــ من مقاصد الشريعة الإسلامية التي لم يُفرط في كتابها من شيء؛ أنها جاءت لتُتبع ويُهتدى بها؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: الآية 64، سورة النساء، وقال أيضا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾: الآية 21، سورة الشورى، إعلامٌ منه تعالى وإخبارٌ لعباده بأنه لطيفٌ بهم، لم يخلقهم عبثا، لأنه أمرهم بالتوحيد ونهاهم عن الشرك به، وأنه علامٌ للغيوب؛ فحيثما كان الشرك كانت الحروب والغارات والمهالك والويلات، وعشرات القرون تثبت هذا وتقره في تاريخ الإنسانية جمعاء، ثم إنه تعالى قد حفظ لنا الفوز والفلاح في الدين والدنيا إذا أسلمنا وجوهنا إليه تعالى واستمسكنا بعروته الوثقى فلن نضل بعدها أبدا، لأنه لا انفصام لعروته ﷻ، هذا ما بينه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾: الآية 15، سورة الإسراء، فكانت المقدمات التشريعية القرآنية موائمة للجزاء ثوابا وعقابا، وهذا مما زاد أتباع هذا الدين يقينا بأنه لا صلاح لمجتمع مُست فيه مقاصد الشريعة والعقيدة، وهي: الدين / النفس / العقل / المال / النسل.

6 ـــ لقد جاء المنهج الإسلامي بطريقة فريدة وكاملة في الدعوة والإبلاغ، ولهذا كان مكملا وجامعا لكل الشرائع السماوية، فحينما دعا للسلام كانت رسالته: إن الدين عند الله الإسلام، ولهذا فإن الشرائع السماوية جاءت مؤتلفات في عقيدة التوحيد، واختلفت في غير العقيدة تبعا لطبائع الأقوام وتخالف حيثيات حيواتهم في تركيباتهم الجسدية والنفسية والاجتماعية والجغرافية والزمنية لطفا بهم ورأفة، ولعل في حكمة النسخ الشرائعي المتدرج حجة إلهية على

رحمة الرحمن الودود ﷻ بعبيده، وفي هكذا قل عن التدرج الإعجازي في نمطية الأحكام فرضا ومستحبا وجائزا ومباحا في شريعتنا السلمية المحمدية الغراء ... ومن أقسط صور هذه النمطية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها أنها تلزم العقاب في الدنيا وفي الآخرة، للمؤمن وللكافر، للغني وللفقير، للذكر وللأنثى، للأبيض وللأصفر وللأسود، للعربي وللعجمي ...، ولا تلزم العقاب إلا في آخر مسار أحكامها وأوامرها ودعوتها وترفقها ويُسرها، وتكرار الأعمال وتحكيم الأرجحية والأولوية والضرورة والتوبة النصوح غير المشبوهة بالإصرار على الشر أو السبق إلى ذلك مجاهرة وصراحا.

7 ـ سلم الإسلام ربانيٌّ قبل أن يكون بشريا، عالميٌّ شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد وما نعلم وما لا نعلم من مخلوقات أخر، سلمٌ كاملٌ غير منقوص عبر الأزمان وفي كل مكان، يخاطب كل جنس وعقيدة ولون ولسان، سلمٌ معجزٌ بديعٌ فذٌ لا نِدَ له لأنه سلمٌ أمر المسلم أن يحسن القتلة والذبحة، فلا يمثل المسلم بعدوه في الحرب.

8 ـ بدأت الدعوة المحمدية فطريةً بصبغة إلهية لا أحسنُ منها صبغة، بدأت بسلمية الفتى القرشي الصادق الأمين الورع وقد تعلم السيادة والقيادة والسياسة في مدرسة التحنث والرعي والانعزال المشروع والمبرر باليقين والمؤالفة الاجتماعية المشبعة بالقناعة والإقناع قبل الوحي وبعده، سلماً ثابتا أصيلا، ثم حربا عالمية لرد العدوان والظلم ونشر رسالة السلام للعالمين كافة، فهو دينهم جميعا لا حكرا على العرب أو أهل الجزيرة وقبائل قريش ... وهذا بيِّنٌ في تربية النبي ﷺ كل الناس والتعامل معهم قبل البعثة وبعدها، ومن خلال التعارفية العالمية مع الدول المجاورة فرسا وروما وحبشة، فعرف بالسلام والسلم في معالمة السفراء والرسل والملوك والسادة والعبيد، حتى دانت له رقاب أعدائه طوعا وكرها فأهدت إليه الملوكُ الإماءَ والعبيد، إشارة منهم على جنوحهم للسلم ولمعاهدات الصلح والسلام، وقد تراءى ذلك للأمم من خلال الفتوحات الإسلامية المتتاليات ومن خلال معاملة أهل الكتاب ونظم التواصل وحسن الجوار كالتجارة والمبادلات الأخرى، وهب المستضعفون إلى سلم محمد ﷺ وإلى بر وسماحة أبي بكر

الصديق ﷺ، و لم يرضوا بجبروت كبراء القوم وأثرياء قريش وسادتهم وأقويائهم، فسل عن السلم بلالاً وصهيبا وعماراً وسلمانا ... وسل عن السلم أحرار الجزائر الذين فقهوا سلم الدول والعامل وكانوا امتدادا فاعلا وإنسانيا صدوقا للإسلام مثل الأمير عبد القادر رحمه الله وهو يحقن دماء النصارى وغيرهم في الشام، ويعلمهم درس المحبة والسلم والإخاء؛ فأين هذا من أولئك الصليبيين الحاقدين الذين سفحوا وسفكوا الدماء وقتلوا سبعين ألفا أو يزيد من المسلمين في بيت المقدس، تلك الدماء الزكية التي أبت إلا أن تُهرقَ في أرض قدسية جوار شجرة الزيتون الباسقة التي ما زالت ظلالها الوارفة تمسح دموع الأقصى وترعى السلام والسلم حقا.

9 ــ لا بدعَ أن خطبة حجة الوداع نصٌ نبويٌ محمديٌ يؤصل أبجديات السلم والأمن لمن أراد أن ينهل منها، ومنها: مخاطبة النبي ﷺ في هذه الخطبة الحاسمة كل الناس، آية على عالمية الإسلام / بدؤه بمقاصد الشريعة الإسلامية التي يجب حفظها، وانظر ــ حفظك الله ــ كم هي عزيزة تلك النفس البشرية إذ قال ﷺ:[... أما بعد: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ... إلى أن يقول: إن الشيطان قد يئس أن يُعبدَ في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم ...]، ورسخ النبي حفظ المال فحرم الربا وأكل أموال الناس بالسحت والباطل / ألح في خطبته على الإخاء حتى قال بنظرة بصيرة لا تنطق عن الهوى: [... فلا ترجعوا بعدي كفارا بضرب بعضكم رقاب بعض] / وأمر بالتقيد بضوابط السلم وشروطه فأكد على الأخذ بالكتاب والسنة واتباعهما، مذكراً الناس بأصلهم أنهم من آدم وآدم من تراب، وبين الأكرمية في التقوى وأشهدهم جميعاً إلى يوم القيامة وكلف حاضرهم بتبليغ غائبهم.

10 ــ سورة قريش تنير العالمين إلى فطرية السلم، فهي باعثةٌ على السعادة واستئلاف التواد والمؤالفة التي طمأنت قريشا في حياتهم اليومية فأمروا بعبادة الله تعالى وتوحيده، فكفاهم الرزق

وآمنهم من خوف، فالسلم يستوجب توحيد الله تعالى والتحدث بنعمه، كما تحدث بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ من الآية 35، سورة إبراهيم، فإذا كان الأمنُ علقاً بشرط الوحدانية لله تعالى والإخلاص في عبادته، فأي أمنٍ نتطلع إليه وقد تكاثرت أصنام القرون التاليات فعُبدت من دون الله؟ وهل سترى البشرية نور السلام من جديد وقد زرع ابن آدم الخوف في حنايا الأرض وزاغ قلبه بعد الهدى، وراح يبدل نواميس الكون وسنن الحياة.

11 ـ من نماذج السلم العالمي الخالد قول النبي ﷺ في فتح مكة: [يا معشر قريش، ما ترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا خيراً أخ كريمٌ وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء][1] فيمتد السلم المحمدي خلفاً للسلم اليوسفي، وفي هذا آيةٌ وبيانٌ على أن دين الله الإسلام،ولن تجد لسنة الله تبديلا.

12 ـ وقريبٌ من قريب سنة حفظ العهود وشريعة حفظ المواثيق في الإسلام، وقد جسدها المسلمون قديما وحديثا فلم يحيدوا عنها، وحاد عنها اليهود مرارا وتكرارا وخانوا العهد مع النبي ﷺ، وما زال الصهاينة والمشركون والجبارون الخبثُ يخونون وينكثون.

13 ـ الإسلام منهج يغرس في الناس التحابب بإفشاء السلام، ويكرس السلم في آداب أتباعه كالوفاء بالعهد والمشي على الأرض هونا، والصدق والاستئذان وحفظ الحرمات والأمانة والحياء والتواضع والاعتدال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراعاة آداب الطريق ودفع الأذى عن الناس والرأفة بالفقير والمريض والعاجز والصغير والمرأة، بل وبالترفق بالحيوان وعدم صيده في الإحرام، ومراعاة آداب الاختلاف بين الناس مراقبة اللسان وتحريم السباب والقذف والصول ونبذ الغدر والنفاق والحسد والتجسس والغيبة والكبر والبغي والفواحش وسوء الظن والمنابزة، كما أنه أصل البديل كالتراحم والحلم والصبر والصفح والعفو والإيثار والعدل والورع والإحسان والتعاون والتكافل والشورى والشراء السمح والبيع السمح وتحري الحلال

---

1 ابن هشام، مختصر السيرة النبوية، إعداد: محمد عفيف الزعبي، مراجعة: عبد الحميد الأحدب، مكتبة المعرفة، سوريا، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ص: 234.

في التجارة، و لم تترك شريعة السلم المعجزة هذه الأوامر والنواهي مبتورةً من الحدود والجزاءات التي فرضها الحي القيوم.

14 ـــ نهايات المتطاولين على سنة السلم العالمية كانت الزوال والدمار والامحاء، ذلك لأن أي محاولة للإخلال بهذه السنة إنما هو محاولة إخلال بالنظام الكلي للكون والحياة، وما يكون لها ذلك أبدا فالملكوت لله تعالى وحده.

15 ـــ منهجية السلم في الشريعة الإسلامية تراعي الفروع والأصول والثوابت والمتغيرات، والتحديدات والتنويعات، لا يخفى عليها شيء في الأرض ولا في السماء، ولا تعتريها الفجوات والعَوَر والفجاجة والنقيصة؛ هي شريعة سلمية تحكم الطوارئ والمستجدات أنى حلت، ولهذا أسس علماء المسلمين وأئمتهم الأجلاء مصادر تشريع إسلامية نابعة من القرآن والسنة، كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف ... ناهيك عن باب الشورى المفتوح والاجتهاد العلمي والمعرفي والبحثي والاستنباطي المتواصل وفق الأولويات والتحوط وغيرها.

16 ـــ الصلاة والصيام في الشريعة الإسلامية من أبرز صور السلم وإقامته وممارسته في تبيان التوحد والخضوع لله وحده وتكامل أهل الإسلام فيما بينهم، لأن الصلاة جامعةٌ لهم فهي مؤتمر شرعي يتجدد في الفرائض، كصلاة الجمعة وموسم الحج، وكذا وحدة الأمة في صوم رمضان وأهدافه الروحية والمادية والاجتماعية والنفسية والصحية، وكذا الأمر في الزكاة والصدقات وشتى العبادات ... فلا سلم أممي عالمي.

قراءة في رؤى ومفاهيم المواثيق الدولية كنظام عالمي يحفظ الأمن والاستقرار

هكذا وتأبى البشرية أن تعتصم بهذه الشريعة اعتصاما تاما حقيقيا، فكفر بها من كفر وعاداها من عاداها وتربص بها الدوائر، واعتقد بها من اعتقد اعتقادا مجتزئا عضينيا فلم يأخذها عقيدة كاملة متكاملة برمتها، فذاق هذا المعتقِد ويلات عصيانها ونكرانها وابتعاضها، فعاش المسلمون في مفارقات عجيبة ـــ حينما فرطوا فيها ـــ وبين ظهرانيهم النور الذي لا يُحجب

والمعين الذي لا ينضب، وأما غيرهم فأفرطوا في تقنين القوانين وابتداع التنظيرات والمفاهيم وشيدوا دساتير ومعتقدات عدة، وألزموا الإنسانية باحترامها والعمل بها، ومن ثمة أفسد الآدميون فطرتهم وحادوا عن أكمل شريعة وأعدل قانون وأشمل عقيدة.

نظرة حول الشمال للسلم بمنظار السيادة المطلقة للعالم

حاولت المواثيق الدولية أن تبني نظم السلم العالمي وتوحد الشعوب على العمل بذلك، لكن واقع الحياة أثبت ضياع الإنسانية وتشتتها في الحروب والكوارث؛ فإن جلبت تلك المواثيق بعض المنافع والمزايا للمجتمع الدولي فإنها لم تُقِم السلم الحقيقي، فكانت عواقب تلك المواثيق أكثر ضررا وإضرارا بشعوب العالم، لأنها لم تحقق ما دعت إليه فعانت الدول المستضعفة الظلم والعدوان وخاصة الأمة العربية والعالم الإسلامي، ودمار الحربين الكونيتين العالميتين وما انجر عنهما من أعظم الأدلة على ذلك، "ويعرف ميثاق الأمم المتحدة بأن خطر الحرب قائم باستمرار. ولذلك جاء نص المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة في 24 أكتوبر 1945 لينص على أنه: لا يوجد في هذا الميثاق ما يعوق الحق المعترف به لكل دولة أو مجموعة من الدول في الدفاع ضد هجوم على دولة عضو في الأمم المتحدة، وذلك حتى يتولى مجلس الأمن الإجراءات الضرورية للحفاظ على السلام والأمن الدولي، والإجراءات التي تقوم بها الدول الأعضاء لممارسة هذا الحق في الدفاع عن النفس، سوف تبلغ فورا إلى مجلس الأمن، ولن تؤثر بأي حال من الأحوال في سلطة ومسؤولية مجلس الأمن، وفقا للميثاق الحالي في اتخاذ التصرف المناسب في أي وقت كما يراه ضروريا من أجل الحفاظ واستعادة السلام والأمن الدوليين"[1]، فهذا موثق من المواثيق التي تنص على إقامة السلم العالمي ولو بالدفاع كأسلوب لرد العدوان وحماية النفس وعلى علمٍ من مجلس الأمن وموافقته على ذلك، مما يبين لنا أن مسألة الحرب والسلم غير مقيدة تقييدا ثابتا وصارما، وإنما هي مسألة خاضعة للمتغيرات والطوارئ، بل

---

1 - د. فتحي غانم، سلام البشر كالحرباء، مجلة العربي، الكويت، ع: 451، 1996، ص: 29.

وعرضةً للمتناقضات أيضا؛ إذ أليس الحرب سلماً بهذا المنظور؟ ... أو أنه حقيقة لا سلم إلا بالحرب؟ ... فأي سلم هذا إذن؟

إذن فالسلم بمنظار الشمال هو كل ما اتفق عليه في المواثيق الدولية وإن خالف بعض الواقع، خدمةً لقوى خاصة ومعروفة كدول مجلس الأمن والولايات المتحدة الأمريكية؛ فسلم هؤلاء هو ما كان عنوانا للديمقراطية وحقوق الإنسان ... وقد أتقنوا في تقنين العهود والمواثيق في تبيان حرية الأفراد والأمم وسيادتها وتعريف العالم بحقوق الطفل والمرأة والعمال وحماية البيئة والصحة والتغذية والثقافة ومكافحة التمييز العنصري وحماية الأقليات والتبرعات الدولية والحث على التنمية بشتى أنواعها ... وكل هذا وغيره مؤطرٌ بالعهود والمنظمات والمؤتمرات، إلا أن الغريب في الأمر هو تلك المفارقات التي تتخلل القول والفعل؛ إذ ما زلنا نشهد الكوارث مستمرةً وآيلةً إلى الاستفحال، والأغرب أنها كوارث في مصادر القوة الدولية التي تنص عليها المواثيق وتدعي حفظها وتنفيذها والدفاع عنها.

وحقا؛ فكيف ترجو البشرية سلما وسلاما من هيئة هشة أركانها، متروعة شرعيتها؟ فها هو الكاتب أنور ياسين يذهب بنا بعيدا إلى عالم الفضائح والنكبات فيقول: "... وبصراحة فإن الذي يعتقد أن الأمم المتحدة تعد ملاذا تدافع عنه، وأن اليد العليا هي للقانون والعدالة ولمبادئ القانون الدولي، فهو يخدع نفسه، إذا لم يدعم هذه القوانين وهذه القرارات وزن وقوة سياسية على مسرح العمل السياسي فلن تنفذ فكم من القرارات صدرت ولم تنفذ؟ بل بالعكس فإن السؤال هو كم من القرارات صدرت ونفذت؟ إنها قليلة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بدولة لها وزن على الساحة الإمريكية مثل إسرائيل"[1]، هذه اعترافات السفير محمود أبو النصر المندوب الدائم للجامعة العربية لدى الأمم المتحدة بمناسبة احتفال العالم بمرور خمسين عاما على

---

1 - أنور ياسين، الأمم المتحدة في الذكرى الخمسين لقيامها، حلم البشرية يقاوم الانكسار، مجلة العربي، الكويت، ع: 443، 1995، ص: 40.

تأسيسها، وهل يجوز أو يحق لنا الاحتفال بتلك النشوة والعالَم يئنُ تحت أقدام الظالمين، ويختنق بعهود السفاكين السفاحين؟ وما تسميةُ مكتبة هيئة الأمم المتحدة باسم الأمين الذي اغتيل في 16 نوفمبر 1961 وهو (داج همر شولد) إلا شاهدٌ آخرٌ على عجز هذه الهيئة في حفظ السلام وضمان الأمن في عقر دارها، فكيف بمن هو خارج دارها؟ وأين حفظ السلام إذن؟ بل أين حفظ رعاة السلام حقا؟ إذن ألم يُدرك بعد أنه لا يُعقل من هيئة عالمية بهذا الوزن أن تمنح السطوة الكاملة من العالم كي يتصرف في مصائر الملايير من البشر والدول وبهذه الصورة البشعة المتناقضة؟

نظرة دول الجنوب للسلم بمنظار المستعبد والمستبعد

عُرفت دول الجنوب بالطرف المستجيب للداعي التابع للمتبوع، تُجرب فيه القوانين والمشاريع وتعصف الحروب بشعوبه أنى شاءت، فنادت هذه الدول المتمزقة بحقوقها وبالتنمية العادلة بأنواعها، ومحاولة تقرير مصيرها وإحراز سيادتها دون التدخلات الأجنبية، وضحت في سبيل ذلك ـــ وعبر التاريخ ـــ بتضحيات جسام وما زالت كذلك، بل أسست منظمات وتكتلات سلمية، أرادت من خلالها إثبات ميلها إلى السلم والسلام، كمنظمة دول عدم الانحياز وغيرها، وكم حاولت وتحاول فتح باب الحوار مع دول الشمال وهي تمنح أعز ما تملك من ثروات طبيعية وموارد بشرية وغيرها إلى تلك الدول، لكنها كوفئت بما لم تكن تطمح إليه وتناضل من أجله، فباتت تحت ضغوط الإملاءات الصهيونية والرعونات الإمريكية. بل وقد اتُهمت بالعجز والخذلان إلى درجة أن وُصفت بعضها بالدول المارقة والعاصية والخارجة عن إطار القانون الدولي، مما دفع ببعضها وخاصة المستضعفة منها إلى التمرد على هذه الأوضاع التي ما فتئت تمحو سلطات هذه الدول وتُنقص من شرعيتها وكأنها لم ترشد بعد، فشاع عن الولايات المتحدة الإمريكية ـــ مثلا ـــ أن تذرعت بحماية السلام العالمي محاولة بذلك تأديب بعض الشعوب المقهورة كما يحلو لها، وبالأخص الشعوب العربية والإسلامية، ولا أدلُ على ذلك من قضية فلسطين والشعب الفلسطيني، فلقد غدت الولايات المتحدة سادرة في غيها وفي تطرفها إلى طرف دون آخر، فبرأت الصهيونية بحجة أنها تدافع عن نفسها، في حين ألصقت صفات التطرف والإرهاب والهمجية والرجعية بهذه الشعوب المستضعفة وغير المتكافئة قوة وعدة وعتادا مع قارونات هذا العصر وفراعنته المتجبرين ...

تحليلات ومقاربات واقتراح الكيفيات الجديرة بالأخذ والاتباع

لا مناص من أن يعود العاقل إلى عقيدة الفطرة والرجوع إلى المرجعية التشريعية الكاملة التي أحاطت بكل شيء علما، فلا بديل في أي رؤية بشرية وضعية، ومن هنا فحريٌ بنا أن نأخذ بما هو أصحُ وأصفى وأنفع لنا، وأن نتبع ما هو أوضحُ وأينُ وأهدى سبيلا، حتى لا نغيب في ظلمات التنظيرات والرؤى الطائشة والجزافية الخارقة لقوانين العدالة الإلهية الكلية ونواميسها الثابتة الصالحة لكل مكان وزمان وإنسان، لهذا ارتأينا أن ننبه إلى بعض الاقتراحات والتوجيهات والأدوات الفاعلة التي ما زالت إلى حد الساعة مغيبة في أرشيفات النسيان والتقاعس، بدعوى أنها لا تمت إلى هذا الواقع وهذا العصر بأي صلة؛ ومنها:

1 ـــ بناء التنمية الفردية الحقة والتي أساسها التربية القرآنية، بحكم أن صلاح المجتمعات البشرية متوقفٌ على صلاح الفرد.

2 ـــ ضرورة نهضة العرب والمسلمين بكتابهم العزيز، والتعامل معه على الوجه الأكمل، وبالفعل لا بالأقوال الجوفاء والاعتقادات الزائفة.

3 ـــ الدعوة بالحسنى والتلطف بالآخر؛ عن طريق تفعيل آليات التواصل والإعلام واستخداماتها الحديثة فيما يُصلح ويَصلُح: كبث ونشر سير الأنبياء عليهم السلام وقصص الأولين من خلال الترجمة المقروءة والمكتوبة والمسموعة والمرئية.

4 ـــ ضرورة تكوين بعثات علمية وفكرية وثقافية مميزة، وظيفتها تفقيهُ الآخر لغة القرآن الكريم، وإرشاده إلى عقيدة التوحيد الصحيحة، وأنها رسالة سلمٍ وتآخٍ، لا دعوة فرقةٍ وتنابذ وإرهاب.

5 ـــ التأكيد على عالمية اللغة العربية ومدى تناغمها وانسجامها مع لغات العالم الأخرى، وذلك بتوحيد لغة الخطاب العربي من حيث التوجيه والإعلام والدعوة،ليتسنى لنا وللآخر فهم رسالة السلم التي بها يُعرفُ دين الإسلام .

6 ـــ ضرورة إقامة الوحدة العربية الإسلامية، بإقصاء كل الحدود الشكلية والمفتعلة بين أبناء الحضارة الواحدة، فكيف نتحدث عن تنمية بشرية ونطالب الغرب ودول الشمال بمساعدتنا في تثويرها وتمويلها، ونحن ما زلنا نتخبط في مصائب التجزئة والقومية والعرقية والقبلية والعشائرية والإقليمية.

7 ـ ضرورة التسريع ببناء التنمية النفسية والاجتماعية والصحية والبيئية والخلقية والروحية، قبل أن ندخل في متاهات النظم العالمية الجديدة التي لم نفقه أهدافها وأبعادها، بل وما زلنا لم ندرك بعد حتى أبجدياتها ومصطلحاتها وأدبياتها، مثل النظام الدولي الجديد وصندوق النقد الدولي، والعولمة، ونكتة صراع الحضارات وحوارها ...

8 ـ ترسيخ معاني العمل والجد والاجتهاد والتفاني فيه وإتقانه، والتمسك بالآداب العامة التي نص عليها ديننا الحنيف، ومعلمتها سنة نبينا الشريفة.

9 ـ تكريس ثقافة السلم وحسن الجوار مع الآخر، بدءاً من برامج التربية والتعليم، وإنصاف التربية الدينية الإسلامية، والتربية المدنية الفاعلة.

10 ـ عدم تعطيل آليات التكافل الاقتصادي بين الأفراد وبين المجتمعات العربية والإسلامية، وسد ثغرات الحاجة والفاقة التي بدأت تعتري بعض دولنا وشعوبنا، بإعادة تفعيل مشاريع التشغيل وإشراك كل الفئات والطاقات في بناء أوطانها، خاصة فئات الشباب.

11 ـ ضرورة فتح باب الحوار الإيجابي مع الآخر وعدم إقصائه داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وتمديد هذا الحوار وتوسيعه لجعله حوارا عالميا سلميا، كما ثبت في التاريخ حين جسد المسلمون ـ مثلا ـ سلمهم مع غيرهم، أيام الدعوة المحمدية والفتوحات الإسلامية؛ كفتح الأندلس وإفريقيا ...

خاتمة:

لا مرية أن منطقة "رقان" في هذه القطعة المباركة من وطننا العزيز، دار الجزائر السخية التاريخية، تلك الأرض التي بكت ذراها يوم فُجرت على أطرافها قنابلٌ ذريةٌ حقودةٌ أرادت من خلالها البغاث أن تستنسر بأرضنا، وتتطاول على كرامتنا. ومقالنا هذا لأكبر دليل على امتلاكنا الحلول السلمية، فطوبى للجزائريين وهم يُشهِدون الله تعالى والعالم من حولهم على أن الجزائر دار السلام، وأن شهدائها الأبرار الخالدون في دار السلام، كانوا يوما ما دعاة للسلام. فمرحبا بسلمٍ هذا نهجه، ولا بارك الله في سلمٍ يُرغمُ أنوفنا وأنوف البشرية جمعاء في حمأة المذلة والحيف والإجرام الغربي المتمادي في غيه، ويُعفر وجه الإنسانية في مستنقعات الهلاك والضياع، لينعم المتكالبون المتوهمون المهووسون بامتلاك العالم وقيادته المطلقة.